اسم الدرس : تفسير سورة محمد (٢) | الآيات (٤-١٩)

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، أهلًا بكم في الحلقة الثانية من وقفات مع سورة محمد –صلى الله عليه وسلم– ضمن دورة بصائر، الموسم الرابع، مع موقع الطريق إلى الله –سبحانه وتعالى–.

أسأل الله –عزَّ وجلّ– أن يُتمَّ لنا هذه الدورة المباركة على خير وأن يتقبل من كل الدعاة، والمجهود الذي يقوم به فريق العمل في الطريق إلى الله –سبحانه وتعالى– وأن يأجر الجميع خيرًا وأن يجزيهم خير الجزاء.

كنّا توقّفنا في المرّة الماضية عند قوله –سبحانه وتعالى– في الآية الرّابعة: {ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُم} (محمد: ٤).

سؤالٌ قد يطرأُ على كثيرٍ من النّاس كلّما رأَى مظلومًا يُضرَب من ظالم، أو ضعيفًا يُستطال عليه من ظالم، أو عندما يرى أهل الإيمان يُقتّلون أو يُعذَّبون أو يُسجنون أو يُشرَّدون.

سؤالٌ قد يتبادر إلى أذهان بعض ضعاف الإيمان – أسألُ الله أن يقوي إيماننا–، سؤالٌ يلقيه الشيطان في نفوس النّاس؛ وأين الله؟ لماذا لا يتدخل الله؟ أليس هؤلاء مؤمنون؟ أليس هؤلاء من أهل الإيمان؟ و يسأل، و يسأل، و يسأل لماذا لا ينصرهم الله؟ أليس الله بقادر؟ أنتم تقولون أنّ الله قادر على نصرة أهل الإيمان فلماذا لا يفعل كذا؟!

وكأنّه يشترط على الله –سبحانه وتعالى– أفعالًا يفعلها –سبحانه و تعالى–، وكأنّه يتعالى ويظنّ – ضعيف العقل وضعيف الإيمان هذا– أنّ عقله وحكمته أعلى من تدبير الله تعالى.

أحيانًا تكون بعض المشاهد مؤلمة تستدعي أن يستحضر الإنسان معاني الإيمان، كما رأى موسى عليه السلام ذلك المشهد مع الخضر في سورة الكهف –قصة الخضر في سورة الكهف بلسم لهذا التفكير– توجد مواطن ترى فيها رقبةَ طفلٍ تُقطَع فتتعجب، وقال: { أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ} (الكهف: ٧٤) فأخبره الخضر أنّ كل هذه الأفعال التي قام بها من خرق السفينة وقتل الغلام وتعامله مع الجدار في القرية التي منعت إطعامهم، هذا التعامل كان فيه حكمة من الله –سبحانه وتعالى–.

فأيضًا بيّن الله هنا في هذه السورة حكمة و هي أن الله قادر أن ينتصر من كل الكافرين. ماذا يساوي هؤلاء الكفار أصلًا في الكون؟ حينما ينظر الإنسان إلى هذا الكون المتسع الشاسع، هذه الكواكب، وهذه المجرّات، وهذه الشموس، وهذه الأقمار، كل هذا الكون المتّسع الذي لو خصصنا حلقة لذكر عجائبه المذهلة في الأعداد والمسافات والأحجام وغيرها لطاش العقل، أعداد الكواكب والمجرات ليست ألوفًا، ولا ملايين، فالأمر أعظم من ذلك.

ثم الأرض من وسط المجرات، من وسط المجموعات الشمسية، أرض ضمن مجموعة شمسية تحمل قارات وأفرادًا يعيشون عليها، ما هؤلاء أصلًا؟ ما هؤلاء الضعاف بالنسبة لحجم الكون الهائل وهم كلهم من علق؟

اللهُ قادر أن ينتقم منهم، وأن ينتصرَ منهم لذا قال بعض المفسرين: "جاءت انتصر منهم وليس عليهم" لماذا؟

لأنّ {منهم} هنا تفيد: الانتقام ونزع النصر منهم، وهذا يُسمى في البلاغة "التضمين" ضُمّن هذا الفعل فعلًا آخر وهو الانتقام، أو يُنزَع النصر منهم، لذا جاء حرف الجر "من" عكس الآية الأخرى { **دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ۖ } (محمد: من الآية ١٠) "فمنهم" أفادت معنى و"عليهم" أفادت معنى آخر -كما سيأتي-.

فالله قادرٌ أن يقتل وأن يُدمّر هؤلاء الضّعفاء، هؤلاء العلق، نقطة دم واحدة تتجمد في عرق أحدهم تصيبه بجلطة فيسقط، يصاب بتوقّف دقّات القلب فيسقط، توقف في النَفَس فيسقط، فالإنسان ضعيف.

الله قادر أن ينتصر منهم ولكنه يتركهم لأسباب.

{لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ} (محمد: من الآية ٤) هذا سرّ وجودنا أن نُبتلى {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} (الملك: ٢) سرُ وجودنا هو العبودية، قامت الدنيا لأجل ذلك، قامت السماوات والأرض لأجل ذلك، فما الذي سيظهر وما الذي سيخرج منا من عبودية لله؟

هذه البلاءات، وهذه المواطن، وهذه الأحداث يجريها الله -سبحانه وتعالى- لينظر كيف ستفعل في هذا الموقف؟ كيف ستفعل أمام الظالم؟ كيف ستفعل وأنت مُستضعَف؟ هل أنت لا تتّبع الدِّين إلا في وقت

القوة فقط؟ {وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} (البقرة: من الآية ٢٠) بمجرّد ألا يجد النور يقف،-كما في سورة البقرة- وُصف المنافق أنه إذا وَجَد النّور سار، وإذا أظلمت الدنيا توقف، {أظلم} في سورة البقرة قيل من معانيها: إذا حدث نصر للمؤمنين قال: "أنا معكم" -كما في سورة النساء-، لكن إذا حدث ابتلاء قال: "أنا لا أتبع هذا الدين"، فيُغير الله -سبحانه وتعالى- ويُداول الأحداث لينظر كيف تعملون.

لذلك { وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ} (محمد: من الآية ٤) فيستخرج منا عبوديات لم تكن لتظهر إلا في هذه المواقف، ويستمر الضغط على أهل الإيمان ليستخرج منهم الكنوز، والدرر، والعبوديات التي لم تكن لتخرج إلا في هذا الموقف.

يستمر الضغط كما حدث في الأحزاب ليُظهر ما بداخلهم، هل سنقول -والعياذ بالله- كما قال المنافقون في سورة الأحزاب: {مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} (الأحزاب: من الآية ١٢) أم سنقول كما قال أهل الإيمان: {هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُه} (الأحزاب: من الآية ٢٢) ؟ هذه الكلمات لا تخرج إلا في هذه المواقف، هذه العبوديات من أهل الإيمان لا تخرج إلا في مثل هذه المواقف.

{ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُم} (محمد: ٤) كلما رأيت ظالمًا يستطيل بظلمه، كلما رأيت دولةً استمرت على الظلم سنوات، إيّاك أن تظنّ أنّ الله -عزّ وجلّ- أهملهم، ولكنّه -سبحانه وتعالى- أمهلهم ليستمرّوا في كفرهم فيصلوا إلى قاع النار -والعياذ بالله- ويصلوا إلى أسفل الدركات في النار.

وهذا المؤمن قد ابتُليَ ليُستخرج منه العبوديات والإيمان، حتى يكون في الفردوس الأعلى. ما الدنيا!! إنما الدنيا حقيرة ضئيلة الحجم والزمن، والقدْر، والمكان، ... (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدُكم أُصبُعَه في اليمّ)[1]، اذهب إلى محيط، إلى بحر واسع وضَعْ إصبعك فيه ثم انظر بمَاذا يرجع! هذه القطرات هي الدنيا، حينما تُصدر أحكامًا جزئيّة على هذه القطرات، وتنسى الباقي فهي أحكام جائرة، فالذي يُعظّم الدنيا يسأل هذا التساؤل: لماذا لا ينصر الله أهل الإيمان؟

لماذا يتركهم يُقتّلون ويُعذبون؟

[1] عن المستورد بن شداد: واللهِ ما الدُّنيا في الآخرة إلّا كما يجعَلُ أحدُكم إصبَعَه في اليمِّ فلْينظُرْ بمَ ترجِعُ

ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٤٣٣٠

وهم إنما ينالون الشهادة، إنما يرتفعون في الفردوس الأعلى، إنما يذهبون إلى أنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه، ومن ماء، ومن خمر، ومن عسل مصفَّى. إنما يصلون إلى أعلى درجات الإيمان،

ما قيمة الدنيا؟ أن تذهب، ويبقى هذا الثواب -الأعمال الباقيات والصالحات الباقيات-

{ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ} (محمد: ٤).

الذين بكيتم عليهم، والذين حزنتم عليهم وتسألون عنهم: {وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد: من الآية ٤) بقراءة حفص: {وَالَّذِينَ قُتِلُوا}، وفي قراءة أخرى: {قاتلوا}.

{وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد: من الآية ٤)، في أول السورة، الكفار أضل أعمالهم؛ كل عمل عملوه من خير ضاع، أمّا هؤلاء-المؤمنون- كل قطرة عرق أو دم نزلت منهم، كل مجهود بذلوه لن يضيع عند الله؛ {فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد: من الآية ٤) تُحفظ أعمالهم وتكون درجات يصعدون عليها يوم القيامة إلى الفردوس الأعلى.

{سيهديهم}: هنا على قراءة {قُتِلوا} أي: سيهديهم في الآخرة، في [زاد المسير] لابن الجوزي ذكر أربعة أقوال في {سيهديهم}: هل سيهديهم لمعرفة الحق؟ أم سيهديهم لمحاجَّة منكر ونكير؟ أم سيهديهم لمنازلهم في الدنيا؟ أم غير ذلك من الأقوال.

لو قلنا {قاتلوا} في سبيل الله: ستكون {سيهديهم} أي سيهديهم إلى الوصول للحق، وأن أهل الثغور وأهل الجهاد هم أقرب الناس للوصول إلى الحق.

أما على قراءة حفص -التي نقرأ عليها-: {قُتلوا في سبيل الله سيهديهم}: أي سيهديهم لمحاجَّة مُنكر ونكير في القبر -أو الملَكين أيًا كان الاسم ثابتًا أو غير ثابت-، سيهديهم إلى الردّ على الأسئلة في القبر.

أو سيهديهم إلى الوصول لمنازلهم في الجنة؛ {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} (محمد: ٥).

فاللهُ أصلح بال المؤمن في الدنيا، وفي الآخرة، فلا يحزن على شيء، حياة المجاهد المليئة بالأسلحة، والسيوف حول الرقاب، والصواريخ، والسجن، والقتل، والأسر، والتقطيع، والشهادة، والدماء، وطيران الرقاب، والقتل.. هذه الأحداث العجيبة المتتالية المرعبة، أصلح الله باله منها في الدنيا والآخرة؛ {وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ} (محمد: ٥-٦) هذا مآلهم.

أسأل الله -عز وجل- أن يرزقنا وإياكم الجنة والشهادة في سبيل الله.

{وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} (محمد: ٦):

{عرَّفها} قيل فيها ثلاثة أقوال:

*أشهر قول: "أي يخبرهم بمنازلهم ويهديهم إلى الوصول لمنازلهم في الجنة، فيكون الإنسان أعرف بمنزله في الجنَّة من منزله في الدنيا".

تخيَّل أنك تسكن في القاهرة، أو في المنصورة، أو في السعودية، أو في أي بلد في العالم، وفي هذا البلد أنت يوميًا تذهب للعمل ثم ترجع إلى البيت، في طريق العودة إلى المنزل في أي يوم لا تحتاج إلى كثير عناء أو كثير تفكير، تحس أن السيارة تسير لوحدها باتجاه المكان، لأنّ هذا بيتك.

في الجنة حينما تُفتَّح أبواب الجنة -رزقنا الله هذه اللحظة-، وتشم رائحة الجنة، وتشتاق، وتتمنى أن ترى ما الذي في الداخل.

الطفل حين يذهب لمدينة الألعاب ويرى الأنوار من الخارج، يرغب في الجري ليرى ما الذي في الداخل.

فتخيَّل أبواب الجنة المغلَّقة تُفتَّح، ويشم رائحة الجنة، ثم يجري.. يا ترى ما الذي في الداخل؟! فيصل إلى منزله وكأنّه يعرفّه.. {عرَّفها لهم}.

*وقيل {عرَّفها لهم}: أي من الأعراف: وهو الشيء المرتفع، والجنة مكان مرتفع.

*وقيل: من العَرْف: وهو الطِّيب، أي طيَّبها لهم -وهذا معنى جميل جدًا- أن الجنة قد طيَّبها الله لهم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} (محمد: ٧) نداء؛ يا من اخترتم الإيمان لا بدَّ أن تسيروا، وتلتزموا بتبِعات الإيمان، {يا أيها الذين آمنوا} (محمد: ٧) الإيمان ليس مجرَّد كلام؛ وإنما معه نصرة. {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد: ٧).

لاحظ أن أدوات الشرط تختلف، مرة قال الله: {فإذا لقيتم}، ومرة قال: {إن تنصروا}؛ "إذا": غالبًا تأتي مع الشَّرط المتحقِّق الوقوع، أي لابد أن تقابلوهم، إذا اتَّبعتم الإيمان فسيحصل لقاء في الحرب مع الكفار ولابدّ.

{إِن تَنصُرُوا اللَّهَ} (محمد: من الآية ٧) قد يسأل أحدهم: هل هذا تشكيك أنّنا سننصر دين الله؟! لا هذا ليس تشكيكًا، هذا لصعوبة الموقف وقلَّة مَن يفعل هذا الفعل -نسأل الله أن نكون منهم-، لقلّة من ينصر دين الله؛ أتى حرف الشرط "إن" الذي يأتي للتشكيك.

{إن}: لو التزمتم بالأعمال.

{ تَنصُرُوا اللَّهَ}: أي دين الله، فالله لا يحتاج إلى نصرة أحد.

{ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ } (محمد: من الآية ٧): فأنت تذهب لتنصر دين الله فتتفاجأ أنَّ اللهَ هو الذي ينصرك، فأنت المستفيد أصلًا من العمل للدين.

{ويثبّت أقدامكم}(محمد: من الآية ٧): هذا أمر عجيبٌ جدًا؛ الناظر قد يتوقَّع: ((إن تنصروا الله يثبت أقدامكم لكي تنتصر))، فيكون تثبيت القدم ثم النصر، ولكن أن يأتي النصر قبل تثبيت القدم، هذا شيء عجيب جدًا!

إما أنَّ الله أخبرك بغايتك ثم أخبرك بالوسيلة؛ فالله طمأنك أنك ستنتصر ثم أخبرك أنه سيثّبت قدمك، فالله أخبرك بالنتيجة أولًا.

أو أنّك تحتاج إلى تثبيت القدم بعد الانتصار، لماذا؟!

حتى لا تغترَّ، حتى لا تترك الطريق، فمن الممكن أن تنتصر في معركة ثم تترك بقية المعارك، وهذا ليس فقط في المعركة؛ قد يكون في العبادة؛ فيجتهد مثلًا في رمضان ثم لا يثبت بعد رمضان، اجتهد وتعبد

لله، ودعا الله، ثم ينتكس بعد ذلك -والعياذ بالله-؛ فقبل النصرة تحتاج إلى تثبيت، وبعد الانتصار أيضًا تحتاج إلى تثبيت.

كلمة {وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد: من الآية ٧) في مشهد طيران الرقاب والقتل، والدماء تدل على أنَّ الثبات عزيز ولا يكون إلا من عند الله، فتحتاج حتى تثبُت قدمُك ولا يصيبها الوهن في هذه المعركة الشرسة إلى توكّل وعون من الله -سبحانه وتعالى-.

أمّا الذين كفروا، فكان لهم عكس الثبات: التَّعَس، التَّعَس: هو السقوط على الوجه وعدم الثبات.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا}:

تجد أنّ الآيات كلها مقارنات بين حال المؤمنين وما يترتب عليه، وحال الكافرين وما يترتب عليه من جزاء، هؤلاء لن يُضِل أعمالهم وهؤلاء أضلَّ، هؤلاء ثبّتهم الله وهؤلاء تعسًا لهم، {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد: ٨)، تكرار: {وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد: ٨) ثم بعد ذلك: {فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} (محمد: من الآية ٩)؛ تكرار "الأعمال" معناه أنّ الكفار مستمرُّون في الأعمال، وعناية الله ورعاية الله لأهل الإيمان مستمرة، وخذلانه لأهل الكفر مستمر.

لماذا أضلَّهم الله؟!

{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ}(محمد: من الآية ٩)

هذه الآية لوحدها يطول فيها الكلام، بعض الناس لا يريد الشرع، يكره القرآن، تقول له: قال الله تعالى..، يقول: "لا أريد أن أسمع.."، {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (الزمر: ٤٥) -في مقدمة سورة الزمر-، هو كاره لما أنزل الله -والعياذ بالله-، هؤلاء أحبط أعمالهم.

بعض المتأخرين ذكر أنّ الحُبوط أعلى من الضّلال، وأنّ الضّلال أشبه بالتِّيه، وأنّ الحُبوط هلاك واختفاء، فكما أنّهم يزيدون في العُدَّة، والعتاد والأعمال، في مقابلة الجزاء من الله يزداد عليهم، هم يتدرَّجون ليستعلوا ؛ فيأتي العذاب بازدياد.

{فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} (محمد: من الآية ٩)

الحبوط: الهلاك، والدابّة التي تأكل شيئًا تظنّه مفيدًا فيؤدي إلى مرض يؤدي إلى هلاكها، هكذا حال الكفار؛ يعمل شيئًا معتقدًا أنه سينفعه فيكون فيه هلاكه -والعياذ بالله-.

ثم دعوةٌ لهؤلاء الكفار إلى أن يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين مِن قبلهم، أيها الكافر المعاند الصادُّ عن سبيل الله، هل أنت أقوى من فرعون؟! أم من قوم عاد؟!

{دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِم} (محمد: من الآية ١٠) الذين سبقوك وظنوا، وقالوا مَن أشدُّ منا قوة؟! أهلكهم الله بالريح، بالهواء!

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِم} (محمد: من الآية ١٠) قلنا سابقًا {منهم}: نزع النصر منهم والانتقام، وهنا {عليهم}: أن العذاب ينزل فيه استعلاء، [على] تأتي بمعنى الاستعلاء والإحاطة.

{وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا} (محمد: من الآية ١٠): وليس [للكافرين مثلها] بل {أمثالها} فالعذاب كان أنواعًا؛ مرة بالصيحة، ومرة بالريح، ومرة بقلب القرية، وأنواع عذاب لايستطيع أن يحصيها الإنسان عددًا.

فأحيانًا يظنُّ الكافرُ الصادُّ عن سبيل الله أنَّ العذاب سيأتي له من مكان معيَّن، فيأتيه من مكان آخر. يعتقد أنه سيأتي من الصيحة فيأتيه من الريح، ويعتقد أنه سيأتي من الريح فيأتي من بعوضة، أو من داخله، أو من سدٍّ يسقط عليه، أو من طعنة من أقرب الناس إليه، أيًا كان العذاب الذي سيأتيه، أحاط الله -عز وجل- به.

{فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} (الحشر: من الآية ٢) من أين جاءتهم؟ {وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} (الحشر: من الآية ٢)، يأتيه من داخله، {وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا}(محمد: من الآية ١٠).

ننتقل لآية جميلة جدًا:

{ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ} (محمد: ١١)، تنقل الإنسان لمعنى الولاية، إحساس أن يتولاك ربك.

ذكر أحد الدعاة مثلًا: تخيل عندما يطلب المعلم من طالب ولي أمره ويقول: ليس لدي، فلا يهتم به أحد، هذه في الدنيا قد تُدرَك وتُحتمَل، لكن في الدين لا أحد يتولّاه!

{ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَولَى الَّذينَ آمَنوا} (محمد: ١١)

إذا سألك أحد: كيف يتولانا الله ونحن نُقتّل ونُعذّب ونحن نُسجن ونُشرَّد؟!

الإجابة: اقرأ الآية التالية؛ أعلى صور الولاية تكون في الآخرة: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ} (الحج: من الآية ١٤)

لا تجعل تفكيرك دنيوي، أعلى صور الولاية أن يدخلك الله الجنات، لذلك هنا الولاية أتت بعدها الآخرة.

الولاية أتت في سورة البقرة: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} (البقرة: من الآية ٢٥٧) ما هي صورة الولاية ؟ هي {يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (البقرة: من الآية ٢٥٧).

في سورة الأعراف: {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ} (الأعراف: ١٩٦) ما هي صورة الولاية؟ {الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ}(الأعراف: ١٩٦).

إذاً للولاية ثلاث صور:

*إنزال الكتاب "سورة الأعراف".

*يخرجك بهذا الكتاب من الظلمات إلى النور فتظل على النور وتموت على النور.

*ستدخل الجنة في "سورة محمد".

فلو قال قائل: إن الله -سبحانه وتعالى- لا يتولاني!

أنت تتكلم عن الدنيا.. والله -عز وجل- قال بعد ذلك في كل من يجعل تفكيره دنيويًا: {يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ} (محمد:١١)

هذا تفكير من يريد -والعياذ بالله- أن ينزل إلى مرتبة الأنعام، بمعنى أن الذي يعتقد بأن ولاية الله له بأن يأكل جيدًا ويشرب جيدًا ... فهذه معاملة وولاية الله للأنعام.. ولاية الله العامة أنه الرب.

لذلك الولاية العامة جاءت بالكتاب: {وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ} (يونس: ٣٠) ولاية الله العامة، وهناك ولاية خاصة بأهل الإيمان.

وهنا {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا} (محمد: ١١) اطمئنان،

{وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ} (محمد:١١) نفي الولاية الخاصة عنهم، تثبيت لأهل الإيمان، وخذلان للكافرين.

{إنَّ الله}: تأكيد، {يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} (محمد: ١٢): أعلى صور الولاية، عملوا الصالحات: لفظ عام يمكن أن يُفسَّر حسب سياقه في القرآن؛ فقد يأتي بمعنى: الجهاد، إصلاح ذات البين... على حسب السياق.

ولكن أول معنى يدخل في {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: الجهاد في سبيل الله، ونصرة الدين، ثم كل الصالحات بعد ذلك.

{جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} (محمد: ١٢)

أما {والذين كفروا}: لا يتولّاهم الله، بل يتركهم يتمتعون، {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (الحجر: ٣)

فخذلان الله للكفار يكون بتركهم يتمتّعون.. لا أن يهلكهم سريعًا -كما ذكرنا في {لانتصر منهم}-.

{يتمتّعون}: جاءت بصيغة المضارع؛ أي يظلّون هكذا لفترة طويلة.

{وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} (محمد: ١٢): أي أكلًا لا نظر لهم فيه ولا فكر.

وحاول الإمام ابن عطية أن يحلل المعنى فقال أن التشبيه ليس معناه أنه يأكل كما تأكل الأنعام، لأن الكل يأكل؛ الجاهل والعالم والبهيمة، لكنّ الكافر يأكل أكلًا يستفرغ فيه وسعَه ولا يُعمِل فيه عقله، أي أن كلُّ همه في الحياة أن يأكل ويشرب جيدًا فقط.

ماذا عن الدين؟ لا يهم!

والصلاة؟ لا يهم!

والتوحيد والإيمان؟ أيضًا لا يهم!

ويظنّ بجهله أنّ معيار التفاضل بين الناس عن طريق الطعام والشراب، وهذه مصيبة، وهذا تفكير الأنعام هذا نزول إلى مرتبة بعيدًا عن الإنسانية؛ فوصف الله الكافرين بأنهم {يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ} أكلًا دون تدبر؛ لذا قال الله سبحانه: {فَلْيَنظُرِ الإِنسانُ إِلى طَعامِهِ} (عبس: ٢٤) -سورة عبس- قبل أن تأكل لابد أن تنظر {أَنَّا صَبَبنَا الماءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقنَا الأَرضَ شَقًّا} (عبس: ٢٥-٢٦).

{ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} (محمد: ١٢) و -العياذ بالله- المصير النهائي: إلى النار، لم يُغنِ عنهم الأكل ولا التمتع؛ (يُؤتى بأنعم أهل الدنيا وهو من أهل النار ثم يغمس غمسة واحدة في النار فيقال له: هل ذقت نعيمًا قط ؟)[٢] هل تذكر شيئًا من الأكل والنعيم والتمتع؟ (فيقول: لا والله يا رب).

{ما أَغنى عَنهُم ما كانوا يُمَتَّعونَ} (الشعراء: ٢٠٥) سورة الشعراء.

كانت الولاية الأخروية في إدخال المؤمنين الجنات، أما الولاية الدنيوية أن الله -سبحانه وتعالى- بالرغم من إخراج قومك لك إلا أن الله نصرك عليهم، {وَكَأَيِّن مِن قَريَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِن قَريَتِكَ الَّتي أَخرَجَتكَ أَهلَكناهُم فَلا ناصِرَ لَهُم} (محمد: ١٣)

{وَكَأَيِّن مِن قَريَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِن قَريَتِكَ} (محمد: من الآية ١٣) وهي مكة، {الَّتي أَخرَجَتكَ} كأن القرية كلها اخرجتك و كأن القرية كلها ساهمت في ذلك، {أَهلَكناهُم فَلا ناصِرَ لَهُم} (محمد: من الآية ١٣). يوجد هنا مبحث يطول الكلام فيه لذا سأذكره سريعًا ومن أراد الاستزادة فليراجع كتب التفاسير؛ ربنا سبحانه يقول: {وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} (الاسراء: ٧٦) هل هم أخرجوه أم هو الذي خرج؟

[٢] عن أنس بن مالك: يُؤتى بأَنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِن أهْلِ النارِ يومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللَّهِ يا رَبِّ ويُؤتى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا، مِن أهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ هلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللَّهِ يا رَبِّ ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٨٠٧

في البداية أراد الكفار إخراج النبي من مكة: {وَإِذ يَمكُرُ بِكَ الَّذينَ كَفَروا لِيُثبِتوكَ أَو يَقتُلوكَ أَو يُخرِجوكَ وَيَمكُرونَ وَيَمكُرُ اللَّهُ} (الأنفال: ٣٠)

فكان أحد وسائل مكرهم أن يخرجوا النبي -صلى الله عليه وسلّم- من مكة، وذلك قبل أن يكون له وِجهة، وقبل أن يكون له مَنعة.

فلما صار له وِجهة ومَنعة و إذا خرج سينتشر الدين حال خروجه، قالوا: لا، لا نريد أن نخرجه.

فالمقصود من قوله تعالى {أَخْرَجَتْكَ}: أنهم بأخلاقهم وعنادهم وإصرارهم جعلوك -أيّها النبي- تخرج وتبحث عن مكان آخر، لكنّهم في أواخر عهده في مكة لم يريدوا إخراجه بل كانوا يريدون قتله؛ بل حزنوا لخروجه من مكة.

ثم تأتي مقارنة بين من كان على بينة ومن زُين له سوء عمله؛ {أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم} (محمد: ١٤)

{أفمن كان على} "على" حرف تمكُّن، {على بيِّنة} فلابد للعامل في دين الله والمجاهد والداعية أن يكون على بينة مما يفعل، لأن أي شبهة قد تذبذبه -في حال غياب البينة-، لأن كلًا من الداعية والمجاهد يبذل ويضحي، فحتى لا يتردد في وقت البذل ولا يلتفت إلى ما بذله بأن يقول: ما هذا! هل ضيعتُ عمري؟! لقد بذلتُ الكثير! هل تم خداعي؟ هل كنت على خطأ؟

لكيلا يصل إلى هذه المرحلة من التشتت التي يريدها أهل الكفر له؛ لابد أن يكون على بينة.

أما الكافر كيف يخدعه الشيطان؟

بأن يزخرف ويُزيّن له سوء العمل حتى تستمر المعركة.

إذًا هناك من هو: {على بينة من ربه} وآخرٌ {زين له}.

{وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم}: وهذا آخر الكلام عن فريق الكفار، فالسورة تتحدث عن ثلاثة فرق وستجمل في النهاية أنهم كلهم صدوا عن سبيل الله، ولهم عقاب سيُذكر في البيان الختامي للسورة، يوجد ثلاثة فرق؛ كفار – منافقين – ويهود بينهم تعاون مع المنافقين.

وهنا خُتم الحديث عن الكفار الصادين عن سبيل الله: {كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم} (محمد: ١٤).

ثم انتقلت الآيات بعد ذلك إلى الحديث عن ثواب المؤمنين، ثم تعود لتصف المنافقين: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) (محمد: ١٦)، غالب الكلام عن المنافقين في القرآن يأتي بأنهم: {ومن الناس} ففريق المنافقين دائمًا يدخل ضمن الناس وهنا نجد من البداية أن هناك كفارًا واضحين {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ} (محمد: ١) ومنافقين يكونون ضمن الناس فيأتي ذكرهم بقول: {ومنهم}، {ومن الناس}.

وهنا قبل أن ننتقل إلى المنافقين، نريد أن نُكمل ونستمر في الطريق؛ فالطريق صعب، والحل بأن نستشعر الثواب في الجنة.

{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ} (محمد: ١٥).

هل تقارن بين هذه الأنهار المتعددة والجنة والمغفرة وبين من هو {خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} (محمد: ١٥)!

الملاحظ هنا أن هذه الآية لم تأت إلا في هذه السورة؛ بمعنى التفصيل في الأنهار وليس بأنهار من ماء وخمر ولبن وعسل فحسب!، بل فصّل –الله تعالى– ووصف كل صنف من هذه الأصناف الطيبة بوصف مُقيِّد له؛ فالماء غير آسن، والعسل مصفى، والخمر لذة –أي خالي من العيوب–، واللبن لم يتغير طعمه.

نجد أن الرابط بين الأصناف الأربع المذكورة أن هذه الأنهار محفوظة من التغير، وخالية من الأكدار.. فالجزاء من جنس العمل.

فالمجاهد كانت حياته مليئة بالأكدار ولم يستطع أن يحافظ على ماله، وضحى بنفسه؛ فيأتيه رزق خال من الأكدار ومُحافَظ عليه -الجزاء من جنس العمل-.

أو الرابط الآخر أن المجاهد كانت حياته خالصة صافية لله من أي كدر أو شائبة، حتى القتال لم يكن حَمية، ولم يكن مجرد أنفة، بل كان في سبيل الله.

وهنا خطورة أن الجهاد ليس أي قتال ولا أن يخدعه أي أحد، بل لابد أن يكون خالصًا في سبيل الله لا يكون تحت راية عُميّة.. فلابد أن يكون خالصًا لوجه الله، لنصرة دين الله بعيدًا عن الأغراض والأهواء والشهوات.

فلما كان القتال والجهاد خالصًا من أي شوائب كان الثواب صافيًا خالصًا، فعندما كانت حياته مليئة بالأكدار والمنغصات وكان الله قد أصلح باله -بالرغم من وجودها- في الدنيا، في الآخرة يأتيه الثواب صافيًا مصفى من الأكدار والشوائب، فثوابه محفوظ في الآخرة كما حفظ دينه و لم يبدل في الدنيا ولم يغيره إلى أن مات.

وفي سورة الأحزاب مثال عنهم: { وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا} (الأحزاب: من الآية ٣٣) أن صنفا من الناس لم يبدل و لم يغير و حافظ على دينه إلى أن مات { فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا} (الأحزاب: ٣٣) كذلك يأتيه الرزق غير مُبدَّل ومُحافَظ عليه، فالجزاء من جنس العمل.

وبالمقابل لاحظ عقاب الكفار كانوا يتمتعون ويأكلون لاحظ الذي كان يأكل عذابه: {سقوا} رغمًا عنهم، {مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} (محمد: ١٥) عكس التمتع، لأن الجزاء من جنس العمل، فلما كان الأكل والتمتع في غير مرضات الله؛ كان العقاب أنهم {سُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} (محمد: ١٥)، وهنا انتهى ثواب المؤمنين.

نبدأ بصنف جديد وهو: المنافقون.

أول مشهد للكفار كان في أرض المعركة يصدوا عن سبيل الله.

ولكن أين أول مشهد للمنافقين في السورة؟

هل هم مع الكفار يقاتلون؟

أم يحاربون المؤمنين؟

بل كانوا يجلسون في مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم-!

{وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} (محمد: ١٦):

آخر مكان يمكن أن تتوقع أن تجد فيه منافقين، أنهم في مجلس علم عند النبي -صلى الله عليه وسلم-، مشهد عجيب جدًا ومكان غريب جدًا!

إنك من الممكن أن تتوقع أن ترى منافقًا في برنامج يبث شبهات ليزعزع المسلمين.. هذا مكان طبيعي ونراه كثيرًا، أو تراه في صف الكفار مثلًا، من المتوقع أن تراه يسلم على يهودي ويقبل رأسه، أو يخطط مع اليهود، كما سترينا الآيات هذا المشهد أن المنافقين يخططون مع اليهود سويًا وفُضحوا بالآيات.

لكن أول مشهد للمنافق قبل الفضيحة كان مع النبي -صلى الله عليه وسلم-.

سوف تأتي الآن آية تفضح المنافق وهذه الآية نؤجلها للحلقة القادمة، وممكن العودة لدرس بعنوان ((متى يتكلم المنافقون أو متى يظهر المنافقون))، لأن المنافق دائمًا مُختبئ في نفق ويعيش فيه.. متى يظهر؟

في أحداث معينة يقدرها الله، ليظهر هذا المنافق.

تجدهم دائمًا يحاولون الاختباء، ولكن الله تعالى قال: {ولتعرفنهم} مهما حاولوا الاختباء ستعرفهم {في لحن القول} (محمد: من الآية ٣٠).

أنت تنظر لمجلس النبي -صلى الله عليه وسلم- وتتعجب من وجود المنافقين، بل ويجلسون يتظاهرون بالاستماع ليست [ومنهم من يسمع إليك]، لا بل {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} (محمد: ١٦) ،هو يتظاهر بالإنصات والاستماع.

{حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ} (محمد: ١٦) يسألون بعض علماء الصحابة أو بعض صغار الصحابة، وكان ابن عباس يقول: "أنا ممن سُئل" فيذهب له ويقول: {ماذا قال آنفا}!

أي ماذا كان يقول؟

بعضهم قال: "كان المنافق يجلس غير مبالٍ فيخرج ويقول: ماذا قال؟ كعلامة استهتار".

أو –وهذا الأوقع والله أعلم–: أنه كان يتظاهر بالاستماع فعندما يخرج يقول: "ما قيمة هذا الكلام!" يشعر أن هذا الكلام لا فائدة منه –والعياذ لله–، فيبدأ يُشكِّك المؤمنين؛ لذلك العامل في دين الله لابد أن يكون على بينة من أمره حتى لا يتذبذب.

التشكيك يأتي من كلمات المنافقين، فالمنافق يقول: أرني ماذا يقول هذا.. أخبرني عن تلك الدروس.. فيسمع ويتظاهر بالتركيز.. ثم بعد ذلك يقول: ماذا كان يقول؟! أنا لا أرى أي أهمية لهذا الكلام.

فالاستفهام في: {مَاذَا قَالَ آنِفًا} (محمد: من الآية ١٦) إما غرضه التشكيك، أو غرضه إظهار عدم المبالاة أو الاستخفاف و الاستهزاء.

وهذا خصوصًا لو كان شخص له مكانة دنيوية كبيرة تحضر وتشعر بهذه اللامبالاة، فهذا يمكن أن يُوهِن بعض ضعاف الإيمان.

{وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ} (محمد: ١٦) بعد خروجه من مجلس النبي –صلى الله عليه وسلم– يذهب ليسأل أهل العلم تحديدًا ليشككهم يعلم أنه لو شكك أهل العلم فالبقية لهم تبع.

{قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا} (محمد: ١٦) ، يقول الله تعالى: هؤلاء –المنافقين– لم يؤتوا من قِبَل قلة العلم المطروح فالرسول –صلى الله عليه وسلم– آتاه الله العلم، إذًا ما السبب؟

{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ} (محمد: من الآية ١٦).. فلم ينفذ العلم إلى قلوبهم، {طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} (محمد: ١٦) نفس اللفظ الذي جاء مع الكفار تكرر مرة أخرى.

أما {والذين اهتدوا}، و{اهتدوا} فيها نوع من المشقة والبذل فجاهد ليصل. {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} (محمد: ١٧)، من الذي زادهم هدى؟ من الفاعل؟

كثير من أهل العلم قال: الله –سبحانه وتعالى– لما جاهد، وصبر، وصابر، وحضر مجلس العلم وطبق ما فيه؛ زادهم هدى، إذًا من يريد أن يزداد هدىً ماذا يفعل؟ يستمع ويُطبِق، يركز في كلام الله والنبي –صلى الله عليه وسلم– ثم يُطبِق.

بعض العلماء أشار إلى معنى فيه نوع من اللطافة؛ قال: {زادهم هدى}: بمعنى أن كلام المنافقين زادهم إيمانًا. فأحيانًا يأتي الكافر أو المنافق كما في سورة آل عمران {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} (آل عمران: ١٧٣) يريدون تخويف المؤمنين {فزادهم إيمانًا} فيزيد إيمانهم، ومن الناس من يُضعفه هذا الكلام.

أو أن يقول المنافق شبهة؛ فيرد الآخر: سبحان الله! هذه الشبهة فتحت لي آفاقًا في فهم هذا الدين، هذا الدين فعلًا عظيم، أنا استفدت جدًا من شبهتك!

فأحيانا كلام المنافقين لأهل العلم، يزيدهم هدى، وإن كان الراجح أن نسبة الضمائر حتى لا يحدث انفصال: "زادهم الله هدى وآتاهم الله تقواهم".

{فهل ينظرون} الخطاب هنا للمنافقين، {إلا الساعة} أي هل ينتظرون إلا الساعة "تذكيرًا لهم"!

الكفار كان التذكير لهم أن يسيروا في الأرض، أما المنافقين التذكير لهم أن يتذكروا الدار الآخرة، {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} (محمد: ١٨) .. لو كان ينتظر أن يتوب قبل الموت أو قبل يوم القيامة، فمجيء النبي -صلى الله عليه وسلم- من أشراط الساعة.

{فأنى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} (محمد: ١٨) **لها معنيان:**

- المعنى الأول:

"فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة".. فتكون: {ذكراهم} بعد {فأنى لهم}، أي: فأنى لهم الذكرى، فلن تنفعهم الذكرى إذا جاءتهم "الساعة أو الموت"

فالقول الأول معناه: ما قيمة أن تتذكر إذا جاءك الموت؟ ما قيمة قول فرعون عند رؤيته ملك الموت: {آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ} (يونس: ٩٠) في هذا الوقت، لا قيمة لهذا التذكر، فمعنى {إذا جاءتهم} أي الساعة، لا قيمة لتذكرهم.

- المعنى الثاني:

{فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} (محمد: ١٨): أي كيف لا يتوبوا وقد جاءتهم التذكرة ووصلت إليهم؟

الذكرى هنا فاعل جاءتهم، فقد جاءتهم الذكرى من النبي -صلى الله عليه وسلم- وجاءتهم الآيات وبالرغم من ذلك أعرضوا عنها، فكيف تعرضون!!

إما جاءتهم الذكرى أو جاءتهم الساعة لن تنفعهم الذكرى.

الخلاصة: معنى الآية كيف تستمرون على الإعراض وقد اقترب أجلكم واقتربت الساعة؟

أخيرًا: فأعرض عن هؤلاء واستمر أنت في العلم وعلّم المؤمنين،{فاعلم} فلا تنشغل بهم لأن هؤلاء يشككون في العلم.

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ} (محمد: ١٩) وهنا خلاف طويل على معنى كلمة {ذنبك} هل التقصير في حق النبي -صلى الله عليه وسلم- هو ((خلاف الأولى))، واستغفر {وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} (محمد: ١٩) وهذه بشرى لنا أن يستغفر لنا النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وهذه أيضًا دلالة أنه كما يكفر الله سيئات العاملين لدين الله طوال السورة حتى في آية الثواب للعاملين في الجنة، قال ربنا -سبحانه وتعالى-: {وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ} (محمد: ١٥).

وتكرار كلمة "كفر السيئات" و "المغفرة" مع المجاهد؛ دليل على أن المجاهد والداعية والعاملين لدين الله ليسوا معصومين.

سنحاول إن شاء الله أن نعطي درس عن ((بشرية العاملين لدين الله))، لأنهم بشر يصيبون ويخطئون.

فالمطلوب عند خطأ العامل لدين الله ألا نسكت على خطئه، ولا نُقرّه عليه؛ فالحق أحب إلينا منه، ولكن دون أن نهدمه بالكُلية و لا تفرح بأخطائهم، فالمنافقين يفرحون بأخطاء الدعاة و المجاهدين، بل نُبين خطأه ونستغفر له -تأسيًا بفعل النبي -صلى الله عليه وسلم- و بأمر الله له-صلى الله عليه وسلم-، فالكفار يريدون أن يهدموا الدعاة وينتظرون أخطاء المجاهدين ويفرحون بها.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (محمد: ١٩): سواء أكان مُتقلَب أهل الإيمان ومثواهم، أم مُتقلَب المنافقين، فالله مُطلِع على كل هذه الأحوال.

والآية التالية بعنوان: متى يُفتضح المنافقون؟

هذا ما سنذكره بإذن الله في الحلقة القادمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا.